



الكرسي الرسولي

قارعللإا دلإا ؤللوسرللإا قرازلإا

كلمة قداسة البابا فرنسيس

فلى اللقاء بىن الألىان فى سهل أور

السبت 6 مارس / آذار 2021

[Multimedia]

أبها الإخوة والأخوات الأعزّاء،

هذال المكال المبارك هو مكان الأصول والىناىع، هنا بدأ عمل الله وولدت دىاناتنا. وهنا، حيث عاش أبونا ابراهيم، يبدو وكأننا نعود إلى بيتنا. هنا سمع ابراهيم دعوة الله، ومن هنا انطلق فى رحلة غيرت التاريخ. ونحن ثمره تلك الدعوة وتلك الرحلة. قال الله لإبراهيم: انظر إلى السماء وأحص النجوم (را. تك 15، 5). فى تلك النجوم رأى ابراهيم وعد نسله، لقد رأنا نحن. والىوم، نحن اليهود والمسیحیین والمسلمین، مع إخواننا وأخواتنا من الدىانات الأخرى، نكرم أبانا ابراهيم ونعمل مثله: ننظر إلى السماء ونسیر على الأرض.

1. ننظر إلى السماء. نشاهد السماء نفسها بعد آلاف السنین، ونرى النجوم نفسها. إنها تضىء أحلك اللیالی لأنها تضىء معاً. وبذلك، تُعطىنا السماء رسالة الاتحاد: يدعونا الإله العلى، من فوق، إلى عدم الانفصال أبداً عن الأخ المقيم إلى جانبنا. الله المتعالى من فوق، يدفعنا نحو أخينا المختلف عنا. فإذا أردنا أن نحافظ على الأخوة بىننا، لا يمكننا أن نحول نظرنا عن السماء. نحن، نسل ابراهيم وممثلى الدىانات المختلفة، نشعر قبل كل شىء أننا نحمل هذه المسؤولة: أن نساعد إخواننا وأخواتنا ليرفعوا نظرهم وصلاتهم إلى السماء. جَمیعنا فى حاجة إلى ذلك، لأننا وحدنا لا نكفى أنفسنا. الإنسان لیس كلى القدرة، ولا یقدر أن یعیش وحده. إذا أبعد الله عن حیاته، انتهى به الأمر إلى عبادة الأمور الأرضیة. لكن خیرات العالم، التى تجعل الكثيرین ینسون الله والآخرین، لیست هى سبب رحلتنا على الأرض. إننا نرفع أعیننا إلى السماء لیرتفع فوق دنیا الأباطیل، ونخدم الله لنخرج من عبودیة الأنا، لأن الله يدفعنا إلى المحبة. هذا هو التدين الحقیقی: أن نعبد الله وأن نجب القرب. فى عالم الیوم، الذى غالباً ما ینسى الله العلى أو یقدم صورة مشوهة عنه تعالى، فإن المؤمنین مدعوون لیشهدوا لصلاحه، ولیسینوا أبوته بأن یكونوا هم إخوة فيما بىنهم.

من هذا المكان ینبوع الإیمان، من أرض أبنا ابراهيم، نؤكد أن الله رحیم، وأن أكبر إساءة وتجديف هى أن ندس اسمه القدوس بکراهیة إخواننا. لا یصدر العداء والتطرف والعنف من نفس متدیة: بل هذه كلها خیانة للدين. ونحن المؤمنین، لا نقدر أن نصمت عندما یسبى الإرهاب إلى الدين. بل واجب علینا إزالة سوء الفهم. لا نسمح لنور السماء أن تغطیه غیوم الكراهیة! كانت کیفه، فوق هذا البلد، غیوم الإرهاب والحرب والعنف المظلمة. وعانت منها جَمیع الجماعات العرقیة والدینية. أود أن أذكر بصورة خاصة الیزیدیین الذين بکوا لمقتل الكثيرین منهم، وشاهدوا ألوف

النساء والفتيات والأطفال يُخطفون ويأعون كعبيد، وقد أخضعوا للعنف الجسدي والارتداد الديني الإجباري. نُصلي اليوم من أجل الذين تحمّلوا هذه الآلام، والذين ما زالوا في عداد المفقودين والمخطوفين حتى يعودوا إلى بيوتهم قريباً. ونُصلي من أجل احترام حرية الضمير والحرية الدينية والاعتراف بها في كل مكان: إنها حقوق أساسية، لأنها تجعل الإنسان حراً للتأمل في السماء التي خلق لها.

عندما اجتاحت الإرهاب شمال هذا البلد الحبيب، دمرَ يوحشية جزءاً من تراثه الديني الثمين، بما في ذلك الكنائس والأديرة ودور العبادة لمختلف الجماعات. ولكن حتى في تلك اللحظات الحالكة، كانت النجوم تتألق. أفكر في الشباب المسلمين المتطوعين في الموصل، الذين ساعدوا في إعادة ترميم الكنائس والأديرة، وبنوا صداقات أخوة على أنقاض الكراهية، وأفكر في المسيحيين والمسلمين الذين يرممون اليوم معاً المساجد والكنائس. كلّمنا الأستاذ علي ثجيل عن عودة الحجاج إلى هذه المدينة. الحج إلى الأماكن المقدسة أمر مهم: إنها أجمل علامة للحنين إلى السماء ونحن على الأرض. لذلك حبّ الأماكن المقدسة، والمحافظة عليها، ضرورة وجودية، متذكرين أبانا إبراهيم، الذي أقام في أماكن مختلفة مذابح لله متجهّة إلى السماء (را. تك 12، 7، 8؛ 13، 18؛ 22، 9). ليساعدنا أبونا إبراهيم أن نجعل الأماكن المقدسة، لكل واحد منا، واحة سلام ومكان لقاء للجميع! فهو، بأمانته لله، صار بركة لجميع الشعوب (را. تك 12، 3). وليكن وجودنا هذا اليوم على خطاه علامة بركة ورجاء للعراق، والشرق الأوسط، والعالم أجمع. السماء لا تتعب من الأرض: الله يحب كل أبنائه وكل الشعوب. ونحن أيضاً، لا نتعب أبداً من النظر إلى السماء، ومن النظر إلى هذه النجوم، التي نظرت ورأت أبانا إبراهيم في زمنه.

2. نسير على الأرض. النظر إلى السماء لم يبعد عيني إبراهيم عن الأرض، بل شجّعته ليسير على الأرض، وأن يشرع في رحلة، شملت من خلال نسله، كل زمان ومكان. ولكن، كل شيء بدأ هنا، من هنا، أخرجه الله "من أور" (را. تك 15، 7). كانت مسيرته مسيرة خروج، وفيها تضحيات: كان عليه أن يترك الأرض والبيت والأقرباء. ولكن، بالتخلي عن عائلته، صار أباً لعائلة شعوب كثيرة. يحدث شيء مشابه لنا أيضاً: في مسيرتنا، نحن أيضاً مدعوون أن نترك روابط وعلاقات تغلق علينا في مجموعاتنا، فتمنعنا من أن نرحب بمحبة الله اللامحدودة. وأن نرى في الآخرين إخوة. نعم، نحن بحاجة إلى أن نخرج من أنفسنا، لأننا نحتاج بعضنا لبعض. لقد جعلتنا الجائحة نفهم أن "لا أحد يخلص وحده" (رسالة بابوية العامة، 54 *Fratelli tutti*). ومع ذلك، تعاودنا دائماً التجربة، لنضع المسافات بيننا وبين الآخرين. والمبدأ "لينج كل واحد بنفسه"، يصبح عاجلاً: "الجميع ضد الجميع"، وذلك أسوأ من الجائحة (را. نفس المرجع، 36). في العواصف التي تمرّ بها، لن نخلصنا عزلتنا، ولن نخلصنا السياق إلى التسلح وبناء الجدران. ذلك يزيدنا بعداً بعضنا عن بعض، ويزيدنا غصبا وكراهية. ولن نخلصنا عبادة المال، التي تغلقنا على أنفسنا وتوقعنا في هوة عميقة من عدم المساواة تغرق فيها البشرية. ولن نخلصنا الاستهلاك الذي يحدّر الذهن ويشل القلب.

الطريق الذي تشير إليه السماء ليسير فيه هو طريق آخر. إنه طريق السلام. وبطلب منا، خاصة في العاصفة، أن نجهّد معاً بالاتجاه نفسه. بينما كلنا نعاني من الجائحة، وبينما تسببت الصراعات هنا في شقاء كثير، إنه من غير اللائق أن يهتم أحد بشؤونه الخاصة فقط. لن يكون سلام يدون مشاركة وقبول الجميع، وبدون عدالة تضمن المساواة والازدهار للجميع، بدءاً بالمستضعفين. ولن يكون سلام يدون أن تمتد الشعوب يدها إلى الشعوب الأخرى. ولن يكون سلام ما زلنا نعتبر الآخرين أنهم آخرون، وليسوا "نحن"، جزءاً منا. ولن يكون سلام ما دامت التحالفات تنشأ ضد أحد، لأن تحالفات البعض ضد البعض لا تزيد إلا الانقسامات. السلام ليس فيه غاليون ومغلوبون، بل إخوة وأخوات، يسيرون من الصراع إلى الوحدة، رغم سوء التفاهم وجراح الماضي. لنصل ولنطلب هذا السلام لكل الشرق الأوسط، وأفكر بشكل خاص في سوريا المجاورة المعذبة.

كان أبونا إبراهيم نبيّ العليّ، وهو الذي يجمعنا اليوم متحدّين معاً. تقول نبوءة قديمة إن الشعوب "سيضربون سيوفهم سيكاً ورماحهم مناجل" (أش 2، 4). هذه النبوءة لم تتحقق، بل السيوف والرماح صارت صواريخ وقنابل. فمن أين يمكن أن يبدأ طريق السلام؟ بأن نعمل على ألا يكون لنا أعداء. من كانت له الشجاعة لينظر إلى النجوم، ومن يؤمن بالله، ليس له أعداء يقاتلهم. له عدو واحد فقط، واقف على باب القلب ويقرع ويريد الدخول: هو العداوة. يسعى البعض ليكون لهم أعداء، أكثر من سعيهم ليكون لهم أصدقاء، ويبحث كثيرون عن مصالحهم الخاصة على حساب

الآخرين. إِلَّا أَنْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى النُّجُومِ وَالْوُعودِ، وَمَنْ يَتَّبِعْ طُرُقَ اللَّهِ، لَا يُمكنُ أَنْ يَكُونَ عَدُوًّا لآخِذٍ، بَلْ هُوَ مِنْ أَجْلِ الْجَمِيعِ. وَلَا يُمكنُ أَنْ يَبْرُرَ أَيَّ شَكْلٍ مِنْ أَشْكَالِ الْهَيْمَةِ وَالظُّلْمِ وَالْإِنتِهَاقِ، وَلَا يُمكنُ أَنْ يَعْتَدِيَ عَلَى أَحَدٍ.

أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ الْأَعْزَاءُ، هَلْ كُلُّ هَذَا مُمكنٌ؟ يُشَجِّعُنَا أَبُونَا إِبْرَاهِيمُ، هُوَ الَّذِي عَرَفَ أَنْ يَرْجُو عَلَى غَيْرِ رَجَاءٍ (روم 4، 18). فِي عِبرِ التَّارِيخِ، كَثِيرًا مَا سَعَيْنَا إِلَى تَحْقِيقِ أَهْدَافِ أَرْضِيَّةٍ فَقَطْ، وَسَارَ كُلُّ مَنَا يَمْفِرِدِهِ، لَكِنْ يَعُونَهُ تَعَالَى يُمكنُ أَنْ نُبَدِّلَ أَنْفُسَنَا نَحْوَ الْأَفْضَلِ. عَلَيْنَا نَحْنُ إِنْسَانِيَّةِ الْيَوْمِ، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كُلِّ الْأَدْيَانِ، أَنْ نُحَوِّلَ أَدَوَاتِ الْكَرَاهِيَّةِ إِلَى أَدَوَاتِ سَلَامٍ. عَلَيْنَا نَحْنُ أَنْ نَحْتِ الْمَسْؤُولِينَ عَنِ الشُّعُوبِ، وَبَشِدَّةٍ، حَتَّى يَبْدُلُوا انْتِشَارَ الْأَسْلِحَةِ الْمُتَزَايِدِ يَتَوَزِعُ الْغِذَاءُ لِلْجَمِيعِ. عَلَيْنَا نَحْنُ أَنْ نُسْكِتَ الْإِتِهَامَاتِ الْمُتَبَادَلَةِ، لِنَسْمَحَ بِسَمَاعِ صُرَاخِ الْمَظْلُومِينَ وَالْمُبْعَدِينَ عَلَى هَذَا الْكُوكَبِ: كَثِيرُونَ هُمْ الْمَحْرُومُونَ مِنَ الْخَبَرِ وَالِدَوَاءِ وَالتَّعْلِيمِ وَالْحَقُوقِ وَالْكَرَامَةِ! عَلَيْنَا نَحْنُ أَنْ نُسَلِّطَ الصُّوَّةَ عَلَى الْمُنَاوَرَاتِ الْمَشْبُوهَةِ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ الْمَالِ، وَأَنْ نَطْلُبَ بِشِدَّةٍ أَنْ لَا يَذْهَبَ الْمَالُ دَائِمًا لِتَغْذِيَةِ شَهْوَةِ الْبَعْضِ الْجَامِحَةِ. عَلَيْنَا نَحْنُ أَنْ نَحْرُسَ بَيْتَنَا الْمُشْتَرَكِ مِنْ نَوَايَا الْمُدْمِرَةِ. عَلَيْنَا نَحْنُ أَنْ نَذْكُرَ الْعَالَمَ بِأَنَّ الْحَيَاةَ الْبَشَرِيَّةَ قِيمَتُهَا يَمَا هِيَ، وَلَيْسَ يَمَا تَمْلِكُ، وَأَنَّ حَيَاةَ الْجَنِينِ، وَكِبَارِ السِّنِّ، وَالْمُهَاجِرِينَ، رَجَالًا وَنِسَاءً مِنْ كُلِّ لَوْنٍ وَقَوْمِيَّةٍ، هِيَ دَائِمًا مَقْدَسَةٌ، وَقِيمَتُهَا مِثْلُهَا مِثْلُ حَيَاةِ الْجَمِيعِ! عَلَيْنَا نَحْنُ أَنْ تَحَلَّى بِالشَّجَاعَةِ لِنَرْفَعَ أَعْيُنًا وَنَنْظُرَ إِلَى النُّجُومِ، نُجُومِ الْوَعْدِ، النُّجُومِ الَّتِي رَأَتْ أَبَانَا إِبْرَاهِيمَ.

كَانَتْ مَسِيرَةُ إِبْرَاهِيمَ بَرَكَةً سَلَامٍ. لَكِنْ لَمْ تَكُنْ سَهْلَةً: كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُوَاكِهَ مَعَارِكَ وَأَحْدَاثًا غَيْرَ مُتَوَقَّعَةٍ. أَمَامَنَا نَحْنُ أَيْضًا طَرِيقٌ وَعَرٌّ، وَنَحْتَاجُ، مِثْلَ آبَانَا إِبْرَاهِيمَ، أَنْ نَتَّخِذَ خَطَوَاتِ مَلْمُوسَةٍ، وَأَنْ نَحْجَّ نَحْوَ الْآخِرِ حَتَّى نَكْتَشِفَ وَجْهَهُ، وَأَنْ نَتَبَادَلَ الذِّكْرِيَّاتِ، وَالنَّظَرَاتِ وَلَحْظَاتِ الصَّمْتِ، وَالْقِصَصِ وَالْخَبَرَاتِ. أَثَرَتْ فِي شَهَادَةِ السَّيِّدِينَ دَاوُدَ وَحَسَنَ، مَسِيحِي وَمُسْلِمٍ، دَرَسُوا مَعًا وَعَمِلُوا مَعًا وَلَمْ تُحِيطْهُمْ الْاِخْتِلَافَاتِ. مَعًا بَنَوْا الْمُسْتَقْبَلَ، وَاكْتَشَفُوا أَنَّهُمَا إِخْوَةٌ. لِلْمُضِيِّ قُدَمًا، نَحْتَاجُ نَحْنُ أَيْضًا إِلَى أَنْ نَقُومَ مَعًا بِشَيْءٍ جَيِّدٍ وَعَمَلِيٍّ. هَذَا هُوَ الطَّرِيقُ، خَاصَّةً لِلشَّبَابِ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرَوْا أَحْلَامَهُمْ تَحْتَطُّمٍ بِسَبَبِ صِرَاعَاتِ الْمَاضِي! مِنَ الضَّرُورِيِّ تَنْشِئَتُهُمْ عَلَى الْأَخُوَّةِ، مِنَ الضَّرُورِيِّ لِنَنْظُرَ إِلَى النُّجُومِ. وَهَذَا أَمْرٌ عَاجِلٌ حَقًّا، لِأَنَّهُ اللَّقَاحُ الْأَكْثَرُ فَعَالِيَّةً لِيُلَوِّغَ غَدٍ فِيهِ سَلَامٌ. لِأَنْتُمْ أَنْتُمْ، أَيُّهَا الشَّبَابُ الْأَعْزَاءُ، حَاضِرُنَا وَمُسْتَقْبَلُنَا!

مَعَ الْآخَرِينَ فَقَطْ يُمكنُ أَنْ تَلْتَمِمْ جِرَاحَ الْمَاضِي. تَحَدَّثْتُ السَّيِّدَةِ رَفْعَ عَنْ مِثَالِ نَاجِيِ الْبُطُولِيَّ، مِنْ طَائِفَةِ الصَّابِيَةِ الْمُنْدَائِينَ، الَّذِي فَقَدَ حَيَاتَهُ فِي مُحَاوَلَةٍ لِإِنْقَازِ عَائِلَةٍ جَارِهِ الْمُسْلِمِ. كَمْ مِنَ النَّاسِ هُنَا، فِي صَمْتِ الْعَالَمِ وَعَدَمِ اهْتِمَامِهِ، بَدَأُوا رَحَلَاتِ الْأَخُوَّةِ! تَحَدَّثْتُ أَيْضًا لَنَا السَّيِّدَةِ رَفْعَ عَنْ مُعَانَاةِ الْحَرْبِ الَّتِي لَا تُوصَفُ، وَالَّتِي أَجْبَرَتْ الْكَثِيرِينَ أَنْ يَتْرَكُوا بِيُوتَهُمْ وَوُطَنَهُمْ بَحْثًا عَنْ مُسْتَقْبَلِ لَابْنَانِهِمْ. شُكْرًا، رَفْعَ، عَلَى مُشَارَكَتِنَا إِرَادَتِكَ الرَّاسِخَةَ لِلْبَقَاءِ هُنَا فِي أَرْضِ آبَائِكَ. كَثِيرُونَ لَمْ يَنْجَحُوا وَاضْطُرُّوا إِلَى الْفِرَارِ. أَتَمْنَى أَنْ يَجِدُوا تَرْحِيًّا وَدِيًّا يَسْتَجِيبُهُ أَشْخَاصٌ ضَعْفَاءُ وَجَرَحَى.

بِالتَّحْدِيدِ، مِنْ خِلَالِ حُسْنِ الضِّيَافَةِ، وَهِيَ سِمَةٌ مُمَيَّزَةٌ لِهَذِهِ الْبِلَادِ، حَظِيَ إِبْرَاهِيمُ بِزِيَارَةِ اللَّهِ، وَوَهَبَهُ اللَّهُ ابْنًا عَلَى غَيْرِ تَوَقُّعٍ مِنْهُ. (رَا. تَك 18، 1-10). نَحْنُ، الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ مِنْ دِيَانَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، التَّقِينَا الْيَوْمَ هُنَا، فِي بَيْتِنَا، وَمِنْ هُنَا، مَعًا، نُريدُ أَنْ نَلْتَزِمَ حَتَّى نَحْقِيقَ حُلْمَ اللَّهِ وَهُوَ: أَنْ تُصَيِّحَ الْعَائِلَةُ الْبَشَرِيَّةُ مِضْيَافَةً تَرْجَبُ بِجَمِيعِ أَبْنَائِهَا. وَإِذْ نَنْظُرُ مَعًا إِلَى السَّمَاءِ نَفْسِيهَا، نَسِيرُ بِسَلَامٍ عَلَى الْأَرْضِ نَفْسِيهَا.

صلاة أبناء إبراهيم

أَيُّهَا إِلَهُ الْقَدِيرِ، يَا خَالِقَنَا وَيَا مُجِبَّ الْبَشَرِ وَكُلِّ مَا صَنَعْتَ يَدَاكَ، نَحْنُ أَبْنَاءُ وَبَنَاتُ إِبْرَاهِيمَ الْمُتَمِّينَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ وَالْمَسِيحِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، مَعَ كَافَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَمِيعِ أَصْحَابِ النَوَايَا الْحَسَنَةِ، نَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ أَعْطَيْتَنَا إِبْرَاهِيمَ، ابْنَ هَذِهِ الْأَرْضِ

نشكرك لأنه مثال الرجل المؤمن، الذي أطاعك حتى النهاية، فترك عائلته وقبيلته ووطنه لكي يذهب إلى أرض لا يعرفها.

نشكرك أيضا على المثال الذي قدمه لنا أبونا المشترك في الشجاعة، والثبات وقوة النفس، والكرم والضيافة.

نشكرك، بصورة خاصة، لإيمانه البطولي، الذي أظهره باستعداداته للتضحية بآبائه طاعة لأمر. إننا ندرك أن ذلك كان له امتحانا في غاية الصعوبة، لكنه خرج منه منتصرا، لأنه وثق بك دون تحفظ، أنت الرحيم الذي يمنح دوما فرصا للبدء من جديد.

نشكرك لأنك أقضت بركتك على أبينا إبراهيم فجعلته بركة لجميع الشعوب.

يا إله أبينا إبراهيم وإلهنا، نسألك أن تمنحنا إيمانا قويا، جادا في عمل الخير، إيمانا يفتح قلوبنا لك ولكل إخوتنا وأخواتنا، ورجاء لا يخيب، قادرا على أن يرى أمانة وعودك في كل مكان.

اجعل كل واحد منا شاهدا على اهتمامك وحبك للجميع وخاصة اللاجئين والمشردين، والأرامل والأيتام، والفقراء والمرضى.

افتح قلوبنا للمغفرة المتبادلة، فنصيح أدوات للمصالحة، فنبنى مجتمعا أكثر عدالة وأخوة.

اقبل جميع الموتى في دار الأبدية، دار السلام والنور، وخاصة ضحايا العنف والحروب.

اعضد السلطات المدنية في البحث عن المخطوفين والعثور عليهم، وفي حماية النساء والأطفال بصورة خاصة.

ساعدنا أن نعتني بالأرض، بيتنا المشترك الذي وهبته، بجودك وصلاحتك، لنا جميعا.

أيدنا في إعادة بناء هذه البلاد، وامنحنا القوة اللازمة لمساعدة الذين اضطروا إلى مغادرة بيوتهم وأراضيهم، للعودة بأمان وكرامة، لبدء حياة جديدة مطمئنة ومزدهرة. آمين.

© جميع الحقوق محفوظة – حاضرة الفاتيكان 2021